ستأخذ طريقة تفكير الاخوان المسلمين في ادارة الامور ومن بينها كيفية ادارة المفاوضات مع اسرائيل

على حماس اقامة حكومة تكنوقراط تأتي من خارج المجلس التشريعي توافق عليها فتح والحركة الاسلامية كحكومة وحدة وطنية

■ «أخرِجوا الامريكان والصهاينة من تفكيركم، انهم لا يريدون الخير للشعب الفلسطيني»، اقترح محمد مهدي عاكف، المرشد العام للاخوان المسلمين في مصر، على نظرائه من حركة حماس في فلسطين. وهي نصيحة ابتدائية غير مشجعة كثيرا خاصة من زعيم حظي بدعم الامريكان، الذين لووا يد مبارك ليمنح الاخوان المسلمين حرية الانتخاب. لكن من اصيب بالذعر لاقوال الاخوان المسلمين المصريين «التشجيعية» لحماس، ويرى في وهمه كيف ستصبح الضفة وغزة طرازا جديدا من ايران او آخر، حماس هي بداية حركة محلية. «عليها أن ترى المجلس التشريعي مصدر السلطة العليا في نظام الحكم السياسي»، اي أن عليها أن تعمل في اطار قواعد اللعبة السياسية لا الدينية، ولكن مع ذلك عليها أن توسع تأثيرها في الاتحادات المهنية وفي الجمعيات الخيرية.

ثم نصيحة مهمة تتصل بامكان ادارة مفاوضات مع اسرائيل هي ان تقيم حماس حكومة تكنوقراط تأتي من خارج المجلس التشريعي، وتكون حكومة توافق عليها فتح وحماس كحكومة وحدة وطنية. «ان حكومة كهذه ستخرج حماس من الضرورة التي ستقربها من خطر سياسي يكمن في علاقة مباشرة باسرائيل، وفي الان نفسه لن تمنع حماس من القدرة على التأثير في سير الامور». وكذلك: «على حماس أن تسكن الجميع في الخارج، وبخاصة اوروبا، وفي مقابلة ذلك عليها أن تتصرف تصرفا مشابها مع فتح». هذه الاقوال تشهد على طريقة تفكير الاخوان المسلمين، التي قد تأخذ بها حماس الان.

غضب لا ايمان

ان الحاجة الى النظر العملي السياسي من اجل احراز هدف ما اعلى في المستقبل البعيد يميز أكثر حركات الوعظ الاسلامية. ان نصائح كهذه يمكن حتى أن نجدها في كتابات مؤسس الاخوان المسلمين في مصر، حسن البنا. هكذا مثلا، حكماء الشريعة الذين يعدون هداة الحركات الاسلامية الغالية، مثل سيد قطب او ابي الاعلى المودودي، يحرمون معاهدات بين المسلمين و «أهل الذمة» (اليهود والمسيحيين)، ولكن في السودان خاصة وهي دولة شريعة سنية أثر في سياستها عالم الاصول الغالي حسن الترابي، وقع اتفاق بين الحكومة وبين المتمردين المسيحيين.

الحركة الاسلامية في تركيا التي يترأسها رجب الطيب اردوغان، والتي فازت بالسلطة في 2002، قامت منذ ذلك الحين بكل جهد للانضمام الى اوروبا وللطمس على تميزها الديني. وسابقها ايضا، حزب الرفاه الاسلامي برئاسة نجم الدين أربكان، لم يحجم عن اقامة ائتلاف مع خصمه العلماني الذي ترأسته تانسو تشيلر. تعاون الاخوان المسلمون في الاردن تعاونا وثيقا مع السلطة حتى لقد ساعدوا الملك حسينا لحينه ضد الفلسطينيين. تعمل الكتلة الاسلامية ايضا في البرلمان الاردني صدورا عن توجه مشاركة مع أحزاب اخرى.

ومع كل ذلك، يوجد فرق جوهري بين الحركات الاسلامية التي تشارك في السلطة في الدول العربية وبين حركة حماس. فلأول مرة تفوز منظمة اسلامية عربية بالسلطة في انتخابات حرة.

يسهل جدا رسم التطورات مثل نمو قوة الاخوان المسلمين في مصر، وفوز حماس ونجاح الحزب الاسلامي في تركيا كتهديد من «الاسلام العالمي» وكبناء لقطب معاد للغرب، معاد لاسرائيل، معاد للسامية، آخذ في الاعداد للحرب الحضارية بين الشرق والغرب. ان هذا التصور الذي يشارك فيه مستشرقون غير قليل ويؤثر ايضا في تحليلات اجهزة الاستخبارات في البلاد وفي الغرب، يفضل رؤية الاسلام لا السياسة التي توجهه ويتجاهل الجمهور تماما، وهو الذي تسبب في الاتيان بنصر حماس.

بحسب هذا التصور، الذي يتجاهل وجود دول قومية ذات مصالح خاصة وصراعات وجود، الشرق الاوسط هو نظام أدوات متآلفة ـ فانحطاط القوة العلمانية يعني صعود القوة الدينية. ولكن يصعب على هذه الحال تفسير لماذا تكون السعودية مثلا، وهي دولة دينية، احدى الدول المشايعة للغرب، اما سورية، الدولة الاكثر علمانية، فهي ايضا احدى الدول غير المشايعة للغرب في المنطقة.

ان المشكلة التي تقلق اسرائيل وبحق هي قضية الارهاب، ولكن هنا ايضا شرك الدين سهل جدا. فحماس لن تستعمل الارهاب على العموم باسم الدين لمقاومة خصومها في الداخل بل لمقاومة الاحتلال. لقد هيأت مخربين منتحرين لفوا أنفسهم قبل عملياتهم بكل شعارات الايمان الحماسية، لكنهم اغتذوا بالاساس بمشاعر غضب واحباط لظروف حياتهم في المناطق. لم يكن الجهاد بمعنى الحرب المقدسة مفهوما لحماس وحدها؛ فهنالك حركات علمانية ايضا كالجبهة الشعبية أو الجبهة الديمقراطية أخذتا به، وكانت كلها، وفي ضمنها حماس، تقصد الى حرب مقدسة وطنية لا دينية: التحرر من الاحتلال.

تُطلب اليهم الاعاشة

لهذا لا يجب أن يكون السؤال الذي يشغل اسرائيل هو مقدار تدين حماس او السكان الفلسطينيين، بل ما هي الكوابح والموازنات في المجتمع الفلسطيني. أي، هل تشبه حماس الاخوة المسلمين في مصر والاردن والسودان اكثر من مشابهتها المنظمات الارهابية الصغيرة والاعنف تلك التي تعرف باسم «الجماعات»؟ هل حركة دينية مثل حماس، تستعمل مواقع على شبكة المعلومات مطورة، احدى قياداتها موجودة في سورية ولبنان ولهذا فانها معلقة باستقبالها الضيوف وبمقدار الضغط الامريكي والاوروبي لهما، اما قيادتها الاخرى ـ «حماس في الداخل» ـ التي يطلب اليها الان ان تعول ملايين الفلسطينيين بأموال لا تملكها، هل تستطيع ان تكتفي بآيات من القرآن، ام أن عليها أن تصبح من فورها «رسمية»؟

هذه الكوابح والموازنات عملت عملها ايضا قبل أن تصبح حماس حزبا غالبا. في التسعينيات اثارت الحركة غضب المواطنين عليها عندما أحرق نشطاؤها حوانيت فيديو في غزة وطلبوا منع الشبان من الاستحمام في البحر. فهمت حماس وتخلت. في حالات اخرى حاولت ان تمنع خروج العمال للعمل في اسرائيل. وهنا فشلت ايضا لان الاحتياجات الاقتصادية طردت الايديولوجية. هذا هو نوع الكوابح والموازنات التي عرضت للحركات الاسلامية سواء في السودان أو في تركيا، والان لا يعني حتى فوز الاحزاب الشيعية الدينية في العراق ان العراق سيصبح ايران الثانية.

ان الموازنات والكوابح الداخلية تنشأ عن الثقافة السياسية التي تميز الدولة ـ والمجتمع الفلسطيني هو من أكثر المجتمعات علمانية في العالم العربي ـ ولكن من تأثير في الخارج ايضا، بوسائل اقتصادية في الاساس. ادركت هذا ايضا السودان وتركيا، والسعودية بل النظام السابق في ايران، للرئيس خاتمي. والشيء هذا صحيح أكثر عندما يكون الحديث عن حركة مثل حماس، ما زالت تحتاج الى ادارة نضال وطني يضاد الاحتلال وان تبني لها شرعية دولية. ان التصريحات الاخيرة لقادة حماس تشهد بوضوح على نية الاخذ بطريقة العمل هذه. ان مطالب المساعدة الاقتصادية، التي تعتمد على اتفاقات اوسلو والاتفاقات التي وقعت بعد ذلك مع السلطة الفلسطينية، والقصد الى ترك ابو مازن يدير تفاوضا مع اسرائيل، بل الحديث عن هدنة طويلة الامد، كلها مشهد متوقع تقريبا.

فلسطينيات يحتفلن بنتائج الانتخابات الفلسطينية في غزة

تسفي بارئيل
مراسل الصحيفة العربية
(هآرتس) 2006/2/1

التناقض ليس عفويا بل يقصد به الخروج من ازمة قضية الحدود في الانتخابات القريبة القادمة

الحدود النهائية كما حددها اولمرت في خطابه ستكون حدودا مؤقتة من الجانب الفلسطيني

■ الخطاب الذي ألقاه القائم بأعمال رئيس الوزراء بالوكالة، وزعيم حزب كديما الاسرائيلي، السيد اولمرت، في هرتسليا، كشف عن وجود تناقض داخلي واضح في المواقف الداخلية لحزب السلطة العتيد.

فقد صرح اولمرت بأن الخطوة الأكثر أهمية التي يتوجب على اسرائيل اتخاذها قبل كل شيء هي «الانتهاء من بلورة وتحديد خط الحدود النهائي لدولة اسرائيل، وبأسرع ما يمكن يجب أن نعرف أين سيكون خط الحدود الممكن وأن نوضح ذلك صراحة، والذي لا بد له أن يعكس حقائق الواقع الديمغرافي الموجود في المنطقة، وعلى الارض».

وبعد أن قال بعض العبارات الاخرى وفي أمور قريبة وبعيدة عن ذلك، أخذ اولمرت يعرض موقفه للفلسطينيين قائلا: «انهم يستطيعون الحصول على دولة خاصة بهم، دولة قومية مستقلة في حدود مؤقتة حتى قبل أن يتم التوصل الى بلورة نهائية وحلول كاملة لجميع القضايا ذات العلاقة بالتسوية النهائية بيننا وبينهم».

كيف سيكون معنى هذا الكلام، أي كيف سيكون خط الحدود نفسه الذي حسب عباراته الاولى سيكون «حدودا دائمة» في جانبه الاسرائيلي، وأنه على الجانب الآخر سيكون «حدودا مؤقتة» بالنسبة للفلسطينيين؟ يمكن أن نفهم هذا التناقض من الناحية السياسية فقط.

السيد اولمرت يريد أن يحقق فوزا في الانتخابات القادمة، لذلك فهو يعرض لناخبيه الاقتراح اللازم والذي يستهوي القلوب في موضوع التوصل الى حل لمشكلة حدود دولة اسرائيل، وفي نفس الوقت فانه يُظهر البخل للجانب الفلسطيني الذين بطبيعة الحال لن يشاركوا في التصويت في انتخابات الكنيست في الثامن والعشرين من آذار (مارس) المقبل.

وكذلك الحال، فان لهذا الكلام تفسير سياسي آخر: فلا يمكن لأحد من الفلسطينيين أن يقبل بخط الحدود الذي يقترحه اولمرت ليكون «حدودا نهائية» لدولته، لأن اسرائيل حين تعرض خط الحدود الذي يفكر به اولمرت، فانها ستحافظ فيه على أمنها وقدرتها الدفاعية اللازمة، وستحافظ فيه على إدخال الكتل الاستيطانية الكبيرة داخله، وتلك الاماكن التي لها معان وقيم عالية من الناحية التاريخية لليهود، والتي هي موجودة بالأساس داخل المجتمع الفلسطيني، وعلى رأسها وفي مقدمتها طبعا «القدس الكبرى والوحدة» التي هي عاصمة الدولة العبرية، ولا يمكن التنازل عنها.

كذلك الحال ايضا، فان هذا التناقض يقصد به «بلف» الفلسطينيين في محاولة للسخرية من عقلهم حين يعرض عليهم موقفا يوحي اليهم بأنه بامكانهم «تحسين مواقفهم فيما بعد»، مع أنه يريد في حقيقة الأمر أن ينقلهم بعد ذلك من قبولهم بخط الحدود «المؤقت» بالنسبة لهم ليكون خط الحدود «الدائم» ايضا دون تغيير، وذلك حين تصبح الظروف جاهزة ومناسبة للانتقال الى مرحلة التسوية الدائمة، كما يريد.

حقيقة الأمر تقودنا الى الاستنتاج بأن حزب كديما لا يريد أن يقود الدولة الى التسوية السياسية الدائمة، بل يريد، فقط، «ادارة مميزة ومُحسنة للصراع» مع الفلسطينيين، أي تسوية تُمكّن اسرائيل من التواجد خلف حدود مستقرة نسبيا، بحيث تكون حدودا جديدة، يمكن بواسطتها إبعاد المجموعات البشرية الفلسطينية الكبيرة عن هذه الحدود وعن أعين الاسرائيليين، وأن يعيد بذلك الجنود والمستوطنين الذين يتواجدون في المرتفعات الداخلية في الضفة الغربية الى بيوتهم ومدنهم داخل اسرائيل، وهذا الانسحاب سيظهر وكأنه نهاية للاحتلال الذي لا يروق للعالم ولا يريده العالم، وهو سيصبح بعد ذلك «مجرد نزاع حدودي» بين دولتين مستقلتين يمكنهما حل المسائل المختلف عليها عن طريق المفاوضات المباشرة. حسب تفكير وأقوال اولمرت فان حلا من هذا النوع سوف يُخلص اسرائيل من هذه النظرة السلبية التي ينظر العالم اليها على أنها «دولة محتلة لأراض وشعب آخر»، ويرفع عنها هذا الضغط الدولي من خلال هذه الخطوة. هكذا يعتقد اولمرت.

نعرف جميعا أن مجرد الاحتفاظ بنسبة 10 في المئة من الاراضي الفلسطينية سيجعل من العمل المسلح والارهاب شيئا قانونيا وعادلا، وهذا ما نراه الآن بالنسبة لسياستنا في مواضيع مثل الاستيطان والحواجز وغيرها من وسائل المراقبة الاسرائيلية.

شخصية سياسية وحزبية معروفة ومقربة من اولمرت تقول ان مجرد قول كلمة «سلام» أخذت تختفي من عبارات الحوار والنقاش الداخلي الاسرائيلي، وان مصطلح «حدود» هو الذي حل مكانها في هذه النقاشات، وحسب اعتقادي، فان هذه الشخصية على صواب فيما تقوله، وان كلمة «سلام» ذُكرت اربع مرات فقط في خطاب هرتسليا، ولم تكن تلفظ وتقال بالمعنى الايجابي لها، وانما في سياق الحديث عن المشاكل التي تواجه اسرائيل، وهذا يؤكد أن اولمرت لا يريد «بيع آمال» للفلسطينيين، ولا أن يُظهر المودة تجاههم. فهو يتعامل مع هذا النزاع على أنه احدى الحقائق القائمة على الارض والتي لا مناص من التعامل معها، وهو يبحث عن الطريق الأسلم والأكثر تحضرا لادارة هذا النزاع، وذلك في اطار سعيه الدؤوب لتخليص اسرائيل من الضغوط الأمنية والسياسية التي يتسبب بها استمرار هذا الوضع، وتهيِّج هذا النزاع.

يبدو في السنوات الأخيرة أن الجمهور الاسرائيلي قد تحرك قليلا باتجاه اليسار، هكذا تبدو الامور، وربما يكون هذا الرأي مقبولا، وأن هذا الجمهور يوافق ويرضى ببعض الطروحات التي كان يرفضها في الماضي والتي كانت فقط توافق وترضي اليسار في اسرائيل، مثل عبارة «دولة فلسطينية» على سبيل المثال. ولكن هذا لا يعكس إلا جزءا من الصورة الكاملة، جزءا قد يكون مُضللا وغير صحيح. والحقيقة هي أن الجمهور الاسرائيلي تحرك فعلا، ولكن حركته هي التي توصف بـ «حركة مقص»، فموقفه بالنسبة لموضوع الحدود قد تحرك فعلا باتجاه اليسار، بينما كان موقفه معروفا في الماضي «ولا من أي شبر من ارض اسرائيل». وبعد ذلك الى خط الجدار، أما مواقفه الخاصة بالتسوية وانهاء النزاع بصورة جذرية ونهائية فقد تحركت باتجاه اليمين، بل أصبحت أكثر يمينية.

لقد جسد الاسرائيليون بذلك وجهة نظر اليمين الاسرائيلي، وأصبحت هذه رؤيتهم السياسية، وكذلك الحال بالنسبة لاقتراح اليسار «الانسحاب من الاراضي الفلسطينية»، ولكن الآمال التي ما زالت تلوح أمام أعيننا منذ الاعلان عن اتفاق اوسلو والتي بشرت بأن اسرائيل ستكون مقبولة على دول العالم وستكون عضو غير منبوذ في الأسرة الدولية طالما انها ستتفق مع الفلسطينيين وتعطيهم حقوقهم ـ هذه الآمال تبدو اليوم بعيدة كل البعد، بل أبعد مما كانت عليه في أي وقت، وخصوصا بعد أن سمعنا أن الكثير من الاسرائيليين يريدون أن «يُطيِّروا» المستوطنين، ويبدو أن هذا هو المفتاح الصحيح لفهم خبايا وخفايا خطاب هرتسليا والمواقف السياسية الحقيقية لحزب كديما.

الوف بن
المراسل السياسي للصحيفة
(هآرتس) 2006/2/1

ايهود اولمرت

اسرائيل لم تتعلم شيئا من الماضي وما زالت تكرر تنكرها لقيادة الفلسطينيين وللواقع الناشئ على الارض

■ الامر الذي يثير الجنون في انتصار حماس هو قبل كل شيء تلك الهزيمة التي الحقت بالعقل الاسرائيلي. ليس من خلال سيطرة حماس الساحقة على صناديق الاقتراع خلافا لكل التوقعات عندنا. هذا حدث مع مينا تسيمح كثيرا. الامر الذي يثير الخوف هو ان لعنة «الفرضية» الجاهزة لم تزل عن الحكم الاسرائيلي وما زالت ملازمة له. التقديرات الخاطئة نابعة من طريقة تفكير عفا عليها الزمن. هذه الطريقة فرضت طوال سنوات نهج العداء لحماس تماما مثلما حول الغباء السياسي م.ت.ف قبل ذلك الى شيطان أزرق، خصوصا في البداية حيث حاولت الحكومات الاسرائيلية يمينا ويسارا رعاية وابراز تنظيمات هامشية مثل روابط القرى واظهارها كمفاوض. لقد كان عليهم أن يتعلموا العبرة. بعد أن القي كل من التقى بممثلي م.ت.ف في غياهب السجون. (حتى عيزر وايزمن واجه مثل هذا التهديد ذات مرة) اصبحت الايادي تصافحهم على المنابر الدولية. كيف؟ لانه اتضح مع تأخر ضار جدا انهم يمثلون الاغلبية الفلسطينية. حينئذ ايضا كانت كل الحكومات بعد رابين تتجهم لهم. ايهود باراك تفاوض مع ياسر عرفات وكأنه رجل مافيا يتوجب تقديم عرض له من دون أن يكون بامكانه ان يرفضه.

في خضم التفكير الاسرائيلي كانت كما نذكر اوقات كان بها خيرة الرجال السياسيين والعسكريين عندنا يغمزون لحماس باعتقاد يائس منهم ان ذلك سيضعف م.ت.ف. حتى عندما اتضح لكل مسؤول في شعبة الاستخبارات العسكرية «امان» ان حماس تسيطر على الشارع الفلسطيني، قمنا بقتل اتباعها وكأن كل واحد منهم هو قنبلة متكتكة. الحليف الامريكي ساعد على تعميق «النظرية الجاهزة» لدينا. البيت الابيض التجريدي عانقنا عناقا خانقا كلما كانت اسرائيل تسمح في تشويه صورة حماس اكثر فأكثر مثلما كان قد ضعف (اي البيت الابيض) إبان حرب لبنان وحتى محادثات اوسلو ـ لتشويه صورة عرفات. واشنطن والقدس تنفستا الصعداء عندما مات المارق. بعد ذلك نكلوا بوريثه المعتدل. عندما كان من المفترض أن يقبله شارون كان جدول مواعيده ينفجر من زحمة اللقاءات.

لم يدعّ أي طرف اسرائيلي ذو اهمية ان من الواجب فتح قنوات مع القوة الفلسطينية الصاعدة. النظرية المقولة حولت مثل هذه الاحاديث الى عبوة جانبية لاخافة كل سياسي. الان ايضا بعد أن تحدثت الارقام بوضوح ما زالت الكراهية التاريخية لكل قوة فلسطينية مهيمنة متواصلة. حماس بالفعل تؤثر في هذه الايام على السياسة المحلية بصورة شبه مرضية. الليكود صعد في الاستطلاعات فور الانتخابات الفلسطينية. لماذا. لان بنيامين نتنياهو المخادع وحده هو الذي غير بين ليلة وضحاها مقولته المعتدلة في الاسبوع الماضي (استطلاع سابق قال ان تمركزه في الوسط سيكون جيدا له) وعاد الى احاديث هتلر والنازية.

من حرصوا على التوسط سياسيا في هذه الاثناء هم قادة حماس. هم لم يبدأوا الحديث عن هيرتسل واقتباس اقواله. اسماعيل هنية رقم واحد قال ان اتفاقيات اوسلو اضرت بالارض العربية ولكنها تحولت الى حقيقة وحماس لن تحاول «تحقيق المستحيل». محمود الزهار تحدث مثله هذا الذي نجى عدة مرات من الاغتيال والذي توفي ابنه. التلفزيون أخذ يسخر من لحية محمد ابو طير المصبوغة بالحناء رقم اثنين في قائمة حماس القطرية، الى أن تحدث خلال لقاء في قناة 10 بالعبرية الجيدة الهادئة التي تعلمها خلال السنوات الاثنين وعشرين في السجون عندنا. هو بدا للسامع الاسرائيلي مثلما يبدو صوت عوفاديا يوسف في اذن تومي ليبد. من الممكن التحدث معهم حول الكيان الصهيوني بمنطق اكثر من الحديث مع حاخامات ساتمر.

هم سيضطرون للتصرف كمن يلتزم بالناس الذين اوصلوهم للحكم: الحرص على أرزاق الناس البائسين. من دون اعتدال خلال اشهر قلائل لن يكون لديهم مال من الغرب واسرائيل ومن دون ذلك سيضيع برنامجهم الاساسي الذي ليس القاء اليهود في البحر. موسم الانتخابات سيدفع الخطاب الاسرائيلي الى المزيد من التفاهة كما علمنا الماضي ولكن بعد فترة ليست طويلة سنضطر للتحدث معهم. لماذا لا نبادر الى التفاوض ونضبطهم في كلماتهم التي قالوها عندما يتضح انهم ليسوا غبلانا اكثر مما بدت عليه م.ت.ف وفتح ذات مرة. يمكن ان يكون لهذا سبب واحد فقط: ان اسرائيل لم تنسَ شيئا ولم تتعلم اي شيء بعد عشرات السنين من الاخطاء السياسية اللعينة.

جدعون سامت
كاتب في الصحيفة
(هآرتس) 2006/2/1

استطلاعات الرأي تُظهر «كديما» على أنه الفائز بالانتخابات

■ أمس أعلن حزب كديما عن قائمة الحزب لمرشحيه لانتخابات الكنيست القادمة. نحن نرى في هذه القائمة ظاهرة جديدة وفريدة في تاريخ السياسة الاسرائيلية الحزبية وعلى مدار الأجيال السابقة، فلم تعرف اسرائيل شيئا كهذا في الماضي. فهو حزب جديد تأسس حديثا على أنقاض انقسامات حزبية عديدة في المجتمع الاسرائيلي، ليس له مؤسسات حزبية ولا مكاتب ولا برنامج داخلي ولا تاريخ، ومؤسس هذا الحزب كان نصيبه أن ينزل من على منصته بعد ايام فقط من الاعلان عن تأسيسه، ومع ذلك، فان هذا الحزب يجر خلفه قطاعات كبيرة من الجمهور الاسرائيلي الذي يعتقد أن هذا الحزب سوف يقوده الى اماكن مضمونة عن طريق ممثليه الذين يتسع لهم المكان في قائمة مرشحي هذا الحزب، والتي طرحت وكأنها «عطاء حزبي» أعلن عن نتائجه في هذه القائمة.

صحيح أن هذا «العطاء» يبدو جيدا، هكذا تُبين نظرة سريعة الى القائمة، فهي تتشكل من مجموعة أسماء ممتازة ذات تجارب طويلة ومعروفة في مجالات عديدة في المجتمع السياسي الاسرائيلي، وفيها كثير من نجوم المجتمع المتنوع والمتعدد الاتجاهات، كما تبدو عليه الامور، وتمثل كل نواحي الطيف الاسرائيلي، والاختلاف في وجهات النظر التي تميزهم هي التي ساهمت في جمعهم من اليمين واليسار والوسط على حد سواء، فهم الى حد ما قد اتفقوا في وجهات نظرهم على المفهوم الوسط.

لا يمكن لأحد الادعاء بأن الاعلان عن تشكيل قائمة من هذا النوع، لا يعني أبدا أن تشكيلها يعني حكمة ودراية عالية المستوى، لأنه حين يكون عندك اماكن حقيقية شاغرة في القائمة، وهي لا تزال غير مشغولة بأحد، وأنت كزعيم، معك عدد من المقربين والمستشارين ولا توجد صفقات ضرورية ولا بد من عقدها مع الآخرين كشرط لإتمام العمل واتخاذ المهمة، فان هذا يُسهل الامور ويجعل المشاكل التي تظهر لدى تشكيل القوائم غير صعبة، بل وتُسهل الامور كلها في هذا السياق. وعليه، فان نظرة الى قائمة كديما تظهر بوضوح وبسرعة أن الموضوع كان سهلا وبسيطا، ولم تكن بحاجة الى مداخلات وكولسة بين الاعضاء أو في المركز (الغير موجود بطبيعة الحال)، وهكذا تشكلت القائمة.

ما هو سر هذا الانسياق وغذ الخطى باتجاه حزب كديما الذي لا يعرض شيئا جديدا، ولا شيء يوقفه أو يجعله يسير باتجاه الخلف؟ فلا الغياب المفاجيء لزعيمه ومؤسسه شارون، ولا التقرير الخطير الذي نشر بخصوص موضوع الفقر الذي أزعج كل البلاد، ولا الانتصار الذي حققته حماس، ولا حتى العبارات القاسية التي أطلقها زعيم هذا الحزب الحالي (اولمرت) ضد المستوطنين وضد اليمين الاسرائيلي على حد سواء، وكذلك الأمر بالنسبة لتلميحاته المكررة وفي أكثر من مناسبة عن امكانية اتخاذه قراراً بالانسحاب من جانب واحد في الضفة الغربية.

لا شيء من كل هذه الامور يدفع الى وقف عملية تقدم هذا الحزب في نتائج استطلاعات الرأي، بل إن أحدهم وصف ذلك بقوله «إن هذا الحزب بلا غيار خلفي»، فهو لا يزال محافظا على الـ 40 مقعدا التي تُظهر النتائج بأنه سيحصل عليها، وعندما كان رقم 40 يعني «أقل أو أكثر»، إلا أنه بعد الاعلان عن القائمة أصبحنا متأكدين بأن الرقم سيكون أكثر.

هذه معجزة، على ما يبدو بحاجة الى بحث وتفكير، وهنا، نحن لا نزال نتحدث بلغة التقديرات فقط. فالشعب الاسرائيلي تعب ويبحث عن الهدوء، وقد عانى الأمرّين من المتطرفين من هنا وهناك، وهو يريد التوصل الى حل ينهي هذا الصراع مع الفلسطينيين وينقله الى مرحلة من العيش بسلام وأمن ورخاء. واذا كان تحقيق ذلك على هذه الصورة، فلا بأس من الانفصال الكلي والنهائي عن الفلسطينيين حتى لو كان ذلك من جانب واحد ومن غير التوصل الى اتفاق. فحزب كديما ظهر غنيا وقويا بمواقفه بسبب شارون، في بداية الأمر، والآن، وبعد شارون فقد يكون ذلك بسبب معرض الأسماء اللامعة التي تشكلت منها قائمة كديما للانتخابات القادمة، وربما لان هذا الحزب ظهر وكأنه نوع من نظرية «لا بد من ذلك الاتجاه» وإلا، فالهزيمة ستكون مصيرنا. وهذا المعنى، سواء رضينا أم أبينا، أظهر الاسرائيليين وكأن ما يناسبهم فقط هو حزب كهذا ولا شيء غيره، وأنه وحده الذي سيوصلنا الى تحقيق هذه الأهداف.

ليس نتنياهو الذي لا يتوقف عن التهديدات، والذي فشل فشلا ذريعا كرئيس للوزراء، وليس عمير بيرتس المناوب لهذا المنصب كما يعتقد، وبطبيعة الحال فقد تحول كديما لنوع من «الاطار القومي» الساخن والآمن والجامع للقوى، الذي دخله الكثيرون من منطلق كونه اطارا يمكن بواسطته تجسيد الآمال والأمن في البلاد.

سوف تبقى الامور هكذا الى أن تبدأ الانتخابات وحتى تنتهي، ولكن السؤال المهم هو: ماذا سيحدث بعد انتهاء الانتخابات، وبعد أن يتحقق الفوز لهذا الحزب لتشكيل الحكومة؟ فهل سيكون حزب كديما حزبا يتمتع بقوة كافية وبصلابة غير عادية ليواجه كل الامور والصعوبات ويبقى متكتلا وموحدا وكأنه نموذج غير مسبوق في العالم، أم سيكون مثل غيره من الاحزاب ليس إلا «قائمة حزبية» تجمعت لأغراض انتخابية يمكن لأي رياح تهب عليها أن تفرقها وتُبعثرها كما حدث من قبل مع غيرها من القوائم؟ وأن مجموعة الأسماء التي تشكلت منها هذه القائمة ستتناثر بعد الانتخابات وتصبح كتلا صغيرة لا وزن لها ولا رابطة تجمعها، على عكس ما تظهر به الآن؟.

منذ الآن تظهر داخل حزب كديما بعض «النبتات» غير المهجنة وغير المتجانسة مع غيرها من النبتات، ومن التي تخفي حقيقة مواقفها الأصلية، وأنها ليست إلا ذات أهداف معلنة لا صلة لها بحقيقة الأهداف المزروعة بداخلها، وما ذلك إلا بقصد الأغراض الانتخابية التي يعتقد كل واحد أنه لا يستطيع تحقيق أهدافه الخاصة التي يؤمن بها إلا من خلال ائتلافه وتضامنه (الظاهري) مع غيره قبل الانتخابات.

يوجد البعض ممن لا يعجبه ترتيبه في القائمة، وهناك من يحتج ويُظهر امتعاضه من كثرة وجود الاصدقاء الشخصيين لاولمرت في القائمة، وهناك من يتبنى آراء وأفكار سياسية لا تتجانس أبدا مع «خط اولمرت ـ بيريس ـ رامون»، وهناك من هم مرشحون لأن يكونوا عناصر إزعاج بسبب خلفيتهم وطريقة عملهم، وهناك عدد ممن كانوا رؤساء حكومات أو كانوا مرشحين في أحد الايام ليكونوا رؤساء حكومات سوف يسألون انفسهم، وغيرهم، لماذا يكون اولمرت، ولماذا لا يكونون هم في هذا المنصب؟ فهم الآن يستسلمون ويُسلمون بقيادته، وقد أعربوا عن رضاهم لحالة فرض الأمر الواقع عليهم وأعربوا عن موافقتهم وقبولهم بأن يكون اولمرت رئيسا للوزراء. هم يحافظون على الهدوء، ولكن السؤال هو هل سيتم الحفاظ على هذا الهدوء وهل سيبقى التسليم بهذا الواقع حتى بعد الفوز في الانتخابات القادمة؟ وهل يضمن أحد بأنهم لا يكمنون له في الزاوية؟.

ولكن السلطة، كما نعلم، هي علاج ضد الانقسام يصلح فقط للاشخاص الذين لا يستطيعون التوقف عن «التأرجح» في مقاعدهم الوزارية. ولكن، ماذا سيكون حال هؤلاء الذين تم حشدهم من البيدر والمعمل ولا أحد يعرف أصلهم وفصلهم ولا رأيهم وتاريخهم، وماذا ستكون مواقفهم في نهاية الأمر؟ كذلك الحال بالنسبة لأولئك الذين سيصابون بخيبة الأمل عندما لا يتم تعيينهم في مناصب وزارية؟ أنظروا ماذا فعل اولئك الذين كانوا يجلسون في المقاعد الخلفية في حزب شينوي، ماذا فعلوا لتومي ليبد؟. اذا تمكن حزب كديما من تجاوز الولاية الاولى في حكومة اسرائيل دون انقسام ولا شرذمة، فان هذا سيكون بمثابة المفاجأة غير المتوقعة والتي ستُسجل في التاريخ الحزبي الاسرائيلي كظاهرة لم تكن سابقة لها.

ابراهام تيروش ـ كاتب في الصحيفة
(معاريف) 2006/2/1

من المحظور على اولمرت وموفاز ورفاقهما أن يخضعوا لثلة من المشاغبين

شارون اول رؤساء الوزراء في اسرائيل الذين حطموا «حاجز الخوف» من المستوطنين

■ اريك شارون خلّف هنا تركة هامة: هو أول رؤساء الوزراء في اسرائيل الذين حطموا «حاجز الخوف» من المستوطنين الذين أملوا جدول الاعمال القومي خلال الأجيال الأخيرة.

تنفيذ فك الارتباط من دون أي شائبة تقريبا، هو أحد الأحداث الهامة وعلامة فارقة في علاقة السلطات الحاكمة مع مواطنيها.

من المحظور على اولمرت وموفاز ورفاقهما أن يفقدوا اللحظة السانحة اليوم في عمونة في مواجهة ثلة من المشاغبين الذين ليسوا من سكان المكان. من المحظور على عناصر الشرطة والجنود أن يُبدوا الوهن في مواجهة المتطرفين، فالأوامر التي تلقوها قانونية، وعليهم أن ينفذوها نصا وروحا وفرض النظام والقانون في منطقة مضطربة منفلتة مرة والى الأبد.

الحكومة القادمة ستبدأ في أداء مهامها بعد ثلاثة اشهر، وربما أكثر، ولكن محكّها الجدي الأول يبدأ من اليوم. اذا فرطوا بقرار اخلاء المنازل غير القانونية في عمونة، واذا غمزوا بأعينهم لمستوطني الخليل بأنهم سيعودون بعد مدة قليلة الى الحوانيت في سوق الخليل، فاننا سنعود حينئذ سنوات الى الوراء حيث كان المستوطنون يستخفون بكل الحكومات التي كانت تخافهم وتتراجع عن قراراتها باستثناء شارون شخصيا. اليوم، في عمونة، سيتضح اذا كان اولمرت ووزراؤه ينظرون الى الأمام بأمل ـ أم أنهم يعودون الى ايام اخرى، عندما كانت الحكومات «تتراجع القهقرى» أمام غضب المستوطنين في «يشع».

ربما سيفهم المشاغبون المهمة أكثر اذا قرأوا كلمات شاعر العقيدة من جماعتهم، اوري تسفي غرينبرغ، إذ قال «ولكن هناك قوانين للمتطلعين للملكوت. الذين يسيرون وفق القوانين يحصلون على الملكوت. هم وأبناؤهم وقود المعركة ـ وبفضلهم ـ أصبح لديهم ارض وبحر».

سيد العالم

السياسيون الاسرائيليون سخروا وضحكوا واستخفوا بياسر عرفات طوال عشرات السنين، «الذي كان كل شيء يتم بأمر منه»: هو الذي يرفع ويُنزل ويقرب ويُبعد ويُعين ويفصل، سيد العالم وعبارة عن «لجنة تنظيمية» من شخص واحد.

الآن، في ظل الظروف القاهرة، ومع كل الفوارق طبعا، تتصرف حركة «كديما» بنفس الطريقة حيث يحدد اولمرت المصائر ولا يتشوق أحد لانتخاب اعضاء مركز للحزب ـ لأن الجميع قد شاهدوا وجه مثل هذا المركز (أي مركز الليكود).

قائمة مرشحي كديما للكنيست تبدو وكأنها قد أُعدت على يد علماء الحاسوب: القليل من كل شيء ـ ولكن في هذا الحزب اشخاص نوعيون ممن هجروا السياسة الاسرائيلية التي كانت بانتظار اشخاص مثلهم طوال سنوات. الكثيرون منهم ذوو تجربة كبيرة تفوقوا في مجالات عملهم السابقة، وليس كطلاب ناشطين سياسيا ممن ظلوا على هذا النحو (لدى حزب العمل، بالمناسبة، عدة اشخاص من هذا الطراز، ولو اتحدوا مع كديما أو بالعكس، لكان هذا أحسن منتخب يُقدم للكنيست في أي وقت من الاوقات). قائمة كديما أُعدت من قبل اولمرت الذي استعان بصورة مؤكدة بأتباع شارون، إلا أنه هو الذي وقع عليها، الأمر الذي يشير لنا الى أن «لجنة تنظيمية» من شخص واحد (هل تذكرون عرفات؟) أفضل احيانا من مركز متطرف من ثلاثة آلاف شخص.

دببة في الشتاء

يقولون عن كل المعارك الانتخابية (تقريبا) أنها مصيرية بالنسبة لدولة اسرائيل، في حالات كثيرة كان ذلك صحيحا خصوصا بالنسبة للعائلات التي ثكلت أعزاءها في تلك السنوات بسبب قرارات هذه الحكومة أو تلك.

منذ سنوات عدة لم نشهد معركة انتخابية تخللها مثل ه